خطب الخليفة عبد الملك بن مروان ووصاياه "مقاربة لغوية تداولية"

مراد البياري، ساطع الذنيبات *

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في خطب الخليفة عبد الملك بن مروان ووصاياه في إطار لغوي تداولي، والوقوف على بنيّة نصه الكلامي؛ للكشف عن تقنيات الخطاب في نصوصه، والوصول إلى إنتاج نص يوضح مقاصد بنيته اللّغوية والنحوية التي وظفها في خطبه ووصاياه. ولأجل هذه الغاية جاءت هذه الدراسة التحليلية معتمدة المقاربة التداولية طريقًا للبحث، وسبيلًا للوصول إلى الهدف المرجو.

الكلمات الدالة: عبد الملك بن مروان، التداولية، الجمل الاستهلالية، التوكيد، الأمر والنهي، التهديد، التعظيم.

المقدمة:

تُعد الخطبة من أبرز الفنون النثرية التي برع فيها العرب، حيث سادت عليهم ظروف دفعتهم إلى مثل هذا النوع من الأدب، كالمناسبات الاجتماعية، والحروب، والخلافات السياسية، والدينية، وغيرها من العوامل التي أدت إلى ظهور مثل هذا النوع النثري في أدبنا العربي. "وهي قديمة قِدم المجتمعات الإنسانية فقد وُجِدت عند الأمم القديمة وازدهرت عند العرب فيما بعد"(خفاجي، 232:1990). والأمر نفسه للوصية "فالمتأمل في التراث العربي الإسلامي يجد أنّ الوصايا باعتبارها من وسائل التواصل التربوي توالت عبر مختلف العصور، واتسعت موضوعاتها وأساليبها مما استدعى أن يكون لها وعاءٌ خاصٌ عُرف بأدب الوصايا يُمثل مستودع الخبرة وعصارة التجربة"(حموي، 13:2012).

فالكتابة النثرية إذن ليست سابقًا عند القدماء فقط في الوجود التاريخي، بل كذلك في الوجود المنطقي، فقد زاحمت الشعر في مكانته(مرجاجو، 2017: 7–8)، والخطابة كغيرها من ألوان الأدب تفتح المجال أمام مبدعيها ومتقنيها أن يتفننوا في تراكيبها وبنيتها الفنية واللّغوية والأدبية التي نالها الشعر(الخوالدة، 2016: 73). ولا شك أنّ لكل عصر سمةً ميّزته عن غيره في فنون الأدب المختلفة، فكما امتاز الأدب في الأندلس بوصف الطبيعة والحنين إلى الأوطان تباعًا للظروف السائدة هناك، نجد أنّ الخطابة في العصر الأموي كان لها حضورٌواضحٌ، ولعلّ من أبرز العوامل التي أدت إلى ظهور مثل هذا الفن"وجود الخلافات المذهبية والأحزاب السياسية التي ساعدت على توفر دواعي الخطابة، فضلًا عن حركة الفتوحات الإسلامية وتوسعها في تلك الحقبة الزمنية"(علي، 2016: 61–62).

واختيارنا عبد الملك بن مروان موضوعًا للدراسة لأنّه الحاكم الذي "تولى الخلافة في ظل الجو الهائج من الاضطراب الدامي بالأهواء والفتن ليظهر لنا على مسرح الساسية، فبذل الجهود حتى فرض هيبته، ووطد دعائم حكمه وأعاد اللُحمة السياسية في أرجاء العالم الإسلامي، فعلى الرغم من سجله الحافل بالحروب والثورات والمؤامرات إلا أنّها لم تستطع طمس النزعة الأدبية التي تغلغلت في نفسه حتى الأعماق، فبقيت روح الأدب جياشة في صدره" "(جفال، 27، 123:1990). لذا جاءت هذه الدراسة في خطبه ووصاياه كما وردت في كتاب جمهرة خطب العرب. التي ستكون ضمن مقاربة لغوية تداولية للكشف عن توظيف الخصائص اللغوية والنحوية في مجال استعماله لها والبحث عن مقاصده اللّغوية والأدائية والوظيفية ، فالنص كما يشير الغذامي جسد حي مركب ذو قيمة وظيفية تتجاوز وجوده الجوهري إلى وجود أعلى وأشمل(الغذامي، 101:1993). ولعلّ في اختيار الجانب اللغوي التطبيقي الدَّلالي قيمة عالية لقراءة النص ذلك أنّ" الدراسة التقليدية للنحو التي تحفل بالالفاظ وإعرابها كثيرًا ما تُغيّب القيمة الدَّلالية والجمالية للجملة"(أمين، 2000: مقال على الشبكة العنكبونية). فاللّغة هي مادة الأدب ونسيجه وهي الأساس في تكوينه، فلا وجود لنص من غير لغة. والبحث عن المقصد النصي دون الاقتصار على وصف التراكيب اللّغوية والنحوية هو أساس العمل التحليلي.

* الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث 2019/11/29، وتاريخ قبوله 2020/2/13.

©2021 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

أمّا انتقاؤنا التداولية كمقاربة في الدراسة اللغوية ذلك "لأنّ التداولية تهتم بعناصر العملية التخاطبية بهدف الكشف عن مضامين الخطاب الظاهرة والمضمرة بهدف التأثير في المخاطبين على اختلاف طبائعهم"(عمرة، 2:2018) "وهي علم يهدف للتواصل فيدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويَدْمِج من ثّم مشاريع معرفية متعددة في ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره، وعليه فإنّ الحديث عن التداولية وعن شبكتها المفاهيمية يقتضي الإشارة إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول المختلفة؛ لأنّها تشي بانتمائها إلى حقول مفاهمية تضم مستويات متداخلة كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب، والعمليات الذهنية المتحكمة في الانتاج، وعلاقة البينة اللغوية بظروف الاستعمال. فالتداواية تمثل حلقة وصل مهمة بين حقول معرفية عديدة"(صحراوي:16). "وكل ما يوجد في النص يدل بشكل من الأشكال ويحيل إلى أدوار تداولية ومقاصد مباشرة وغير مباشرة. بمعنى أنّ لغة النص وظيفية وتداولية تحمل في طياتها أبعادًا سياقية سياسية واجتماعية واقتصادية ونفسية"(مختاري:6).

"ولعلّ أهم ما يميّز التداولية هو كيفية استعمال اللّغة في الاتصال، فطبيعة اللّغة في التداولية تتحدد وتُفهم في قيمتها التواصلية"(السعيد:مقال على الشبكة العنكبوتية)، ومما "يقابلها عند النحاة العرب ما يسمى بمفهوم"الفائدة" أي الفائدة التي تَنتج من عملية التلفظ بالخطاب، ومدى نجاح التواصل اللّغوي في سياق معين"(رحمة، 16:2017). وهذا ما تحاول دراستنا بيانه وإظهاره للقارئ، إذ إنَّ تحليل الخطاب على هذا الأساس يُنتج لنا نصًا آخرَ قائمًا على أساس فهم البنية اللّغوية والتركيبية للنص، ومن ثَم رصدها ضمن شبكة تحليلية تتضح من خلالها مقاصد الفعل الكلامي."الذي يُعد بدوره نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية وفحواه أنّ كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي أنجازي تأثيري وفضلًا عن ذلك يُعد نشاطًا ماديًا نحويًا يتوسل أفعالًا قولية لتحقيق أغراض إنجازية وغايات تأثيرية"(صحراوي:40).

وبُغية الوصول إلى غاية البحث المرجوة تَشكّلَت الدراسة ضمن محاور على النحو الآتي:

المحور الأول: الجمل الاستهلالية في خطب عبد الملك بن مروان ووصاياه

المحور الثاني: أساليب التوكيد في خطب عبد الملك بن مروان ووصاياه

المحور الثالث:أسلوب الأمر والنهي في خطب عبد الملك بن مروان ووصاياه

المحور الرابع: لغة التهديد في خطب عبد الملك بن مروان ووصاياه

المحور الخامس: لغة التعظيم في خطب عبد الملك بن مروان ووصاياه.

الدراسات السابقة:

من المفيد أن نذكر الدراسات التي تناولت خطب عبد الملك بن مروان ووصاياه بالدراسة، ولعلّ أهمها دراسة خليل إبراهيم جفال– الخليفة عبد الملك بن مروان –الأديب الناقد– دار النضال –بيروت –1990. التي أقام فيها فصلًا عن خطب عبد الملك ووصاياه كا جاءت في كتب التراث، إذ لم يقتصر على الخطب التي وردت في جمهرة خطب العرب فقط. وقدعرض لها للتعرف على خصائص خطبه ووصاياه وموضوعاتهما والميزات العامة لهما. ولم يخصصها للجانب اللغوي أو النحوي. وعلى الرغم من أهمية دراسته إلا أنّها لا تتعارض مع ما نحن بصدده، إذ تأتي دراستنا هذه مُكلمة لها، مختلفة عنها في الطرح، مما يزيد الموضوع ثراءً.

المحور الأول: الجمل الاستهلالية في خطب عبد الملك بن مروان ووصاياه:

تُشكِل الجملة الاستهلالية في أي نص أدبي أهمية بالغة في بيان مقصد مُنشِئ النص، وبيان مدى ملاءمتها لواقع النص المطروح. ذلك أنّ " أهم ما يميّز الجمل الاستهلالية موافقتها لمفردات النص، وأن تكون منسجمة مع غايات النص وخيوط نسيجه"(أبو شعيرة، 185:2010). " فهي الجسر الذي يشرع المتلقي عبره بالانتقال إلى النصن، وفيه يتم عقد ميثاق النص"(ياسين، 82:2014)، "حيث تمثل لازمة في العمل الأدبي " (بن الشيخ، 2014: 232). لا يمكن الاستغناء عنها.

"ولا بد للاستهلال أن يكون بكلام مُنتِج ومؤثر في باقي النص، وتحمل الكلمة فيه شحنة الإيماء والإحالة والتأويل"(المالكي، 2007: مقال على الشبكة العنكبوتية)، ولا شك أنّ للاستهلال أهمية قصوى في الفن الخطابي "مما يجعلنا نستشعر موقعه في الخطبة، فضلًا عن أهميته البارزة من الناحية الفنية بشكل مطلق كيف لا وهو يشد الانتباه ويلفت الأنظار وأداة تهيئة وتوطئة"(الخرافي، 12:2012).

ومن خلال النظر في خطب عبد الملك بن مروان ووصاياه يُتاح لنا أن نصنف الجمل الاستهلالية وفاقًا للآتي:

الجملة الاستهلالية	موضوع الخطبة
أيّها الناس	خطبة له بمكة
أيّها الناس	خطبة فيها نبرة التهديد
أرموا بأبصاركم	خطبته حين قُتل عمر الأشدق
أيّها الناس	خطبته لما قُتل مصعب بن الزبير
يا معشر قريش	خطبته لما رفض أهل المدينة العطاء منه
إنّ أهل العراق طال عليهم عمري	خطبته وقد علم بخروج الأشعث
أنت تاجر الله لعباده	وصيته لبعض أمرائه
يا شعبيّ لا تساعدني على ما قبح	وصيته للشعبيّ
ابسط بِشْرك وألنْ كنفك	وصيته لأخيه عبد العزيز بن مروان
يا هذا أحنين الحمامة، إذا مِت فشّمرْ واتزرْ	وصيته لولده عند وفاته

عودة إلى هذه المقدمات الاستهلالية لخطب عبد الملك بن مروان ووصاياه يتضح لنا مقصده منها، فبالنظر إلى موضوع كل مقال له ومناسبته يتبيّن لنا القصد من افتتاحيته للنص. فالجمل الاستهلالية المبدوءة بـ"يا أيّها الناس" اتفقت بحدة الخطبة وموضوعها وتكثيفها، ففي خطبته التي كانت بمكة يستهلها بقوله:" أيّها الناس: إنّي والله ما أنا بالخليفة المستضعَف، ولا بالخليفة المُداهن، ولا بالخليفة المأفون، فمن قال برأسه كذا قلنا له بسيفنا كذا"(صفوت، 1993: 181–180)، وفي خطبة أخرى اتسمت بحدية موقفه نجده يفتتح بقوله:" أيّها الناس، إنّ الله حدّ حدودًا، وفرض فروضًا، فما زلتم تزدادون بالذنب، ونزداد في العقوبة، حتى اجتمعنا نحن وأنتم عند السيف"(صفوت:181). والأمر نفسه عند قتله لمصعب بن الزبير. حيث جاءت جملته الاستهلالية متناسبة لجملة القول التي أرسلها للمتلقين عامة، وكأنه يشير إلى أنّ هذا التهديد لا يخص فئة محددة من الناس أو قبيلة ما، فخطاب التهديد للناس عامة أيًا كانوا. ولعلّ في ذلك تأكيدًا على مقصده الخطابي ورسالته الإبلاغية.

وبالانتقال إلى الاستهلال بالفعل"أرموا" نجد أنّ فعل الأمر الحركي وظّفه ليكون مدخلًا لخطبته التي قالها عندما قُتل عمر الأشدق، وكأنّه مقدمة لمن يخاطبهم لما يجول في خاطره، إذ إنّ فعل الأمر فيه من لفت الانتباه ما فيه، ودلالته على الأمر تجعل المتلقي في سجن الكلمات ومقصدها.

وأحيانًا نلمح في خطابه تخصيصًا بما يتفق والغاية التي من أجلها جاءت الخطبة، فعندما أبى أهل المدينة عطاءه خصص جملته الاستهلالية بـ" يا معشر قريش". فهم من رفضوا أعطيته، وبالتالي هم المقصودون في الخطاب وعليه جاء الاستهلال مخصصًا لهم، حتى يكون أبلغ وأدق في الإبلاغ.

وقد نجد أنّ الاستهلال يكون مبدوءًا بجملة مُؤكِدة يخص قومًا محددًا، ففي خطبته وقد علم بخروج الأشعث عليه وجّه نبرة الخطاب لأهل العراق الذين رفضوا وجوده بجملة تأكيدية بقوله:" إنّ أهل العراق طال عليهم عمري فاستعجلوا قدري"(صفوت:185). فجاء التأكيد ليكشف مقصده ويوضح لهم ما يجول في خاطرهم.

غير أنّنا نجد في وصاياه استهلالات مختلفة جاءت موافقة لعنوان النص "وصية"، حيث اختفت فيها الحدية في الفعل القولي وارتفعت فيها نبرة النصح والإرشاد الذي جاءت من أجله الوصية. وهذا ما نلمحه واضحًا في جملة وصاياه " أنت تاجر الله لعباده"(صفوت:185) مقدمة استهلالية يوصي بها أميرًا له يقدم فيها خلاصة خبرته. لنجده في موطن المنادمة والحاجة لمحادثة الرجال يستهل جملته الافتتاحية بحرف النداء "يا" " يا شعبيّ"(صفوت:186) وكأنّه يلفت انتباهه إلى ما يريد. لنرى بعدها الأفعال الرقيقة تحتل مقدمته الاستهلالية عندما يوصي أخاه عبد العزيز" ابسط، ألنْ، آثرْ"(صفوت:186) لينتهي بنا المطاف عند مرضه ووصيته لابنه باستفهام مُوجعٍ يريد منه التأكيد على ما يوصي به ابنه" يا هذا أحنين الحمامة، إذا أنا مِت فشّمرْ واتزرْ، والبسْ جلد النمر"(صفوت: 187). ولعلّ مناداته لابنه باسم الإشارة "هذا" يحمل في ظلاله معنى من خلق الانتباه الشديد عنده لما سيوصيه، فالأمر خاص في تسلمه مقاليد الحكم والسلطة فكان لا بد من استهلال يتناسب والمقام الذي هما فيه.

ولعله من المفيد هنا أن نوضح مقاصد جمله الاستهلالية وفاقًا للآتي:

الجملة الاستهلالية	صفة الجملة	الغرض التداولي
أيها الناس	عامة	التهديد
أرمُوا	عامة	التهديد
يا معشر قريش	خاصة	رد على موقفهم من رفض العطايا
إنّ أهل العراق	خاصة	عتاب ولوم ودعاء
أنت تاجر	خاصة	نقل خبرته في الحياة
يا شعبيّ	خاصة	الحاجة إلى المنادمة والمحادثة، نقل خبرته في الحياة
ابسط ، ألن، آثر	خاصة	نصح وإرشاد
يا هذا	خاصة	حرص على تسلم زمام السلطة بعناية وحزم

المحور الثاني: أساليب التوكيد في خطب عبد الملك بن مروان ووصاياه:

تنوعت أساليب التوكيد في العربية، ولم تقتصر على ما بُوب لها في كتب النحو تحت عنوان"التوكيد"، وإنما تعدته لأساليب نحوية أخرى حملت فضلًا عن معناها النحوي فائدة التوكيد.

والناظر في خطب عبد الملك بن مروان ووصاياه يجد تنوع هذه الأساليب بما يتناسب والمقام الذي يقصده.

ففي خطبته التي وجهها للناس في مكة يجمع في خطبته جملًا توكيدية بأكثر من أسلوب وهي "إنّ، والقسم، وحرف الجر الزائد":" إنّي والله ما أنا بالخليفة المستضعف"(صفوت:180) ليُشكّل عند القارئ عناية واضحة بجملته التي تحمل معنى التحدي والاعتداد بالنفس فجاء الخطاب مناسبًا لغرض الخطبة –التهديد– ثم يستمر التوكيد عنده بتكرار كلمة "الخليفة" التي يستقيم المعنى بدونها " ما أنا بالخليفة المستضعف والمداهن والمافون" غير أنّ التكرار جاء في جملة كلامه لغرضين: أولهما: تثبيت أحقيته بالخلافة، وثانيهما: ارتفاع وتيرة الخطاب بهذا التكرار عند المتلقي. ليختم فعله التوكيدي بجملة ترهيبية يؤكد فيها على ما بدأ به" التهديد" "فمن قال برأسه كذا قلنا له بسيفنا كذا"(صفوت:181).

وفي خطبة أخرى له مكثفة بالتوكيدات "إنّ الله حدّ حدودًا، وفرض فروضًا "(صفوت:181) تمحورت جملته التوكيدية في جانبين أحدهما ظاهر من مسماه "إنّ"، حرف توكيد ونصب، والآخر باطن في معناه ظهر في الفعلين"حدّ، فرض" واللفظين "حدودًا، فروضًا" "فحَدُّ كُلِّ شيءٍ: مُنْتَهَاهُ لأنه يَرُدُّهُ وَيَمْنَعُهُ عَنِ التَّمَادِي، وحُدُود اللَّهِ تَعَالَى: الأَشياء الَّتِي بيَّن تَحْرِيمَهَا وَتَحْلِيلَهَا، "(ابن منظور:حدد) " وَالْفَرْضُ أَيْضًا مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى سُمِّي بِذَلِكَ لِأَنَّ لَهُ مَعَالِمَ وَحُدُودًا.(الرازي:فرض).فجاءت غاية التوكيد موافقة لمقصده من الخطاب.

وفي خطبته المشهورة بعد أن قتل مصعب بن الزبير جراء خلافه مع الخلافة الأموية وجّه خطبته إلى عامة الناس قاصدًا من ذلك الرد على كل من يحاول الخروج على خلافته، لذا جاءت جملتة التوكيدية على النحو الآتي:" إنّ الحرب صعبة مرة، وإنّ السلم أمنٌ ومسرة، قد زبتنا الحرب وزبنّاها"(صفوت:183).

فموقف عبد عبد الملك في خطبته جاء بعد خلاف وقتال ، ولا شك أنّ مقتل مصعب بن الزبير خلق عند الآخرين ردة فعل، وكانّه يريد أن يؤكد أنّ أمرَ الحرب ليس بالهين، فجاء ببيان صعوبة الحرب ضمن جانبين أيضًا: أحدهما واضح من مسماه "إنّ" والآخر، واضح من معناه التصريح بلفظتي" صعبة، مرة" ليتبعها بحرف التحقيق "قد".

وعندما ورد إليه خروج ابن الأشعث عليه وعلى خلافته خطب بأهل العراق يؤكد لهم أنّهم يستعجلون قدره بقوله:" إنّ أهل العراق طال عليهم عمري فاستعجلوا قدري"(صفوت:185) لانّه يعلم حقيقة مدى رغبتهم بزواله، فجاء التوكيد متدوالًا متماشيًا مع قصده الخطابي.

وفي وصاياه نجده عندما يوصي الشعبيّ يُقدم له خلاصة تجربته في الحياة بجمل توالت فيها المؤكدات "فإنّ أسوأ الناس حالًا من استكدَّ الملوك بالباطل ، وإنّ أسوأ الناس حالًا منهم من استخفَ بحقهم، واعلم يا شعيبيّ أنّ أقل من هذا يذهب بسالف الإحسان، ويُسْقِط حق الحرمة، فإنّ الصمت في موضعه ربما كان أبلغ من النطق في موضعه"(صفوت:186). فالمتتبع لوصيته يجده يقدم خلاصة تجربة في الحياة وخبرته ودرايته في السلوك والتصرف، لذا جاء غرض التوكيد متناسبًا مع فعله الكلامي.

والأمر كذلك في وصيته لأخيه عبد العزيز فبعد أن يوصيه بأن ينظر في أمر حاجبه يلجأ إلى تعليل هذه الوصية بجمل مُؤكدة باستخدام "اللام" و"إنّ" حرصًا منه على إقناع الآخر بمقصد الكلام "وانظر حاجبك فليكنْ خير أهلك، فإنّه وجهُك ولسانُك"(صفوت:187). ليختم وصيته بجملة أبلغ في التوكيد" ولا يقفَنَّ أحدٌ ببابك إلا أعلمك مكانه"(صفوت:187).

وفي وصيته لولده قبل وفاته اتسمت جمله التي يذم فيها الدنيا بمؤكدات واضحة زاوج فيها بين "إنّ، واللام" " إنّ طويلَك لقصيرٌ، وإنّ كثيرَك لقليل، وإن كنا منك لفي غرور"(صفوت:187)، ليختتم بعدها غرضه من الوصية لأبنائه مستخدمًا لام الأمر بقوله:" وليعطِفْ الكبير على الصغير، وليعرفْ الصغيرحق الكبير"(صفوت:187).

وكي تتضح المقاربات التداولية من أسلوب التوكيد في خطب عبد الملك بن مروان ووصاياه ننسج الجدول الآتي:

الأسلوب	جملة الخطبة	المقاربة التدوالية	الكلمات المرجعية المساندة
إنّ، القسم التكرار	إنّي والله ما أنا بالخليفة المستضعَف. تكرار كلمة"الخليفة"	التهديد	المستضعف، المداهن، المأفون
إنّ قد	إنّ الله حد حدودًا، وفرض فروضًا	التهديد، الالتزام بما أمر الله عزوجل	حدّ، فرض، حدودًا، فروضًا
إنّ قد	إنّ الحرب مرة صعبة قد زبتنا	التهديد المعرفة بالحرب	مرة، صعبة
إنّ	إنّ أهل العراق طال عليهم عمري، فاستعجلوا قدري	رفض أهل العراق خلافة عبد الملك بن مروان	طال، استعجلوا
إنّ	إنّ أسوأ ، إنّ أقل، فإنّ الصمت	نقل خبرة في الحياة	اعلم
اللام إنّ نون التوكيد	ليكن حاجبك خير أهلك فإنّه أبلغ بك، فإنّه وجهك ولسانك لا يقفنَّ	اقناع التعليل نقل خبرة في الحياة	
إنّ، اللام لام الأمر	إنّ طويلك لقصير، إن كثيرك لقليل ليعطفْ، ليعرفْ	ذم الحياة تقوى الله	قصير ، قليل يعطف، يعرف

المحور الثالث: أسلوب الأمر والنهي في خطب عبد الملك بن مروان ووصاياه:

للكلمة في العربية معنىً معجمي يؤخذ به عند تجرد الكلمة من أي سياق يخرجها من هذا المعنى، فالمفردات في اللغة تحمل طابعًا دلاليًا مختلفًا عن معناها المعجمي عند مجيئها في سياق ما، حيث ينقلها هذا السياق من معناها إلى معنى آخر يلتصق بسياقها الكلامي في الجملة المحكية، وهذا يُعد من ثراء اللغة ونحوها. وبالنظر إلى "فعل الأمر نجده يخرج عن معناه ودلالته الأصلية إلى معانٍ بلاغية أخرى، "وهذه ظاهرة أسلوبية عرفت منذ بداية التأليف في اللّغة العربية"(الأنصاري، 13:1990). والأمر عند النحاة طلب حدوث الفعل من الأعلى إلى الأدني حقيقة أو ادعاء. وله في اللغة أربع صيغ:(هارون، 14:2001)

1–فعل الأمر: مثل قوله تعالى:" فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ"(المائدة:6).

2–المضارع المقرون بلام الطلب التي تسمى بلام الأمر:مثل قوله تعالى:" فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ"(الحج:15).

3–اسم فعل الأمر:مثل: عليكم أنفسكم.

4–المصدر النائب عن فعل الأمر: مثل: قوله تعالى:" فَضَرْبَ الرِّقَابِ"(محمد:4).

والأصل في الأمر أن يكون بطلب الفعل على سبيل الإيجاب، وقد يأتي لمعان أخرى تُفهم من المقام، منها:

الالتماس: كقولك لمساويك: "افعل كذا"، والدعاء: كقولك: "رب اغفر لنا"، والتمني: كقولك: "يا ليل أقبلْ"، والتعجيز: كقوله تعالى:" فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ"(البقرة:23)، والتهديد: كقوله تعالى: " اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"(فصلت:40)، والتحقير: كقوله تعالى:" قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا"(الإسراء:50)، والتسوية كقوله تعالى:" فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ"(الطور:16)، والإباحة كقوله تعالى:" وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ"(المائدة:2).(هارون:14-15).

أمّا النهي وهو الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء وصيغته واحدة المضارع المقرون بلا الناهية، كقوله تعالى:" وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا"(الإسراء:32)، وهو كالأمر قد يخرج إلى معان: كالدعاء والالتماس والتمني والتيئيس والتهديد والتحقير ونحو ذلك.(هارون:16).

والناظر في خطب عبد الملك بن مروان ووصاياه يلحظ كثرة أفعال الأمر والنهي فيها، ولعلّ سبب ذلك كما أشار بعض الباحثين "أنّه أكثر من أفعال الأمر لتأكيد سلطانه"(جفال، 1991:243). " ذلك أنّ التوجه باستعمال صيغة الأمر ليس تابعًا للواصفة اللغوية فقط وإنما المُعول عليه هو اتفاقها مع سلطة المرسل "(الشهري، 2004:342). ولنا في في هذا المجال أن نشرع في التفصيل باستخدام الأمر والنهي عند عبد الملك بن مروان لنخلص إلى نتائج تداولية من فعله الكلامي.

حين قُتل عمر الأشدق حفلت خطبته باستخدام أفعال الأمر بصورة واضحة ، التي بدأها بقوله:"ارمُو بابصاركم" "اجعلوا سلفكم لمن غَبر" ثم أردف قوله بالنهي" ولا تكونوا أغفالًا من حسن الاعتبار" ليختم بعبارة صريحة في التهديد "فتنزل بكم جائحة"(صفوت:181). فهذه البداية التي بدأ فيها خطبته أعلن فيها مخاطبة " عقول الناس للتفكير بمن سلفهم من أهل المعصية فيتعظوا بمن سلف"(جفال:238). ثم نلحظه ينتقل بعد أن ملأ النفوس رهبة وتهديدًا إلى ترغيبهم في طاعته"(جفال:239) " فمن تاب فتوبه مقبول والإحسان مبذول" باستخدام صيغ الأفعال ذاتها، وكلمات داعمة دالة على معناه من الترغيب" فيض أعطياتكم" " فانظروا لأنفسكم، واقبلوا على حظوظكم، وليكن أهل الطاعة يدًا على اهل الجهل من سفهائكم، واستديموا النعمة التي ابتدأتكم برغيد عيشها..... انهضوا رحمكم الله إلى فيض أعطياتكم"(صفوت:182).

فقد وضعنا عبد الملك بن مروان في هذه الخطبة في بلاغة واضحة حيث جاءت أفعال الأمر والنهي في مطلع الخطبة بما يناسب مقامها – التهديد– لينتقل بعدها إلى التخفيف من حدة الفعل إلى الترغيب. "وكأنّه بذلك يرسم صورتين: صورة أهل المعاندة وما ينتظرهم من سوء المصير، وصورة أهل الطاعة وما ينتظرهم من المكافآت في الدنيا والآخرة"(جفال:239).

وفي خطبته بعد مقتل مصعب بن الزبير يزواج أيضًا بين الأمر والنهي" فاستقيموا على سبيل الهدى ودعوا الأهواء المردية، وتجنبوا فراق جماعات المسلمين" (صفوت:183). فهذه البداية منه تمهيد لتهديد لاحق ظهر في نهيه الآتي: " ولا تكلفونا أعمال المهاجرين الأولين، وأنتم لا تعلمون أعمالهم، ولا أظنكم تزدادون بعد الموعظة إلا شرًا"(صفوت:183). فالظاهر من استخدامه "أفعال الأمر هو التهديد الواضح والتأكيد على سلطانه"(جفال:243). ليختم خطبته بالاستشهاد بقصيدة لقيس بن رفاعة الأنصاري جمع فيها معاني التهديد بأسلوب الأمر:

فإنْ عَصيْتم مَقَالي اليَومَ فاعْتَرِفُوا أنْ سَوفَ تَلقُونَ خِزْيًا ظَاهرَ العارِ.(الأصفهاني، 1971:17:132)

وفي جانب آخر نجد فعل الأمر عنده يتخذ طابع الدعاء على المُخاطَبين، فعندما علم بخروج الأشعث على ملكه وقف وخطب في أهل العراق" اللهم سلّطْ عليهم سيوف أهل الشام"(صفوت:18) فهو كما أشار أحد الباحثين أنّ عبد الملك بن مروان امتاز بالحكمة عن التهديد بالدعاء عليهم(جفال:250).

وبالانتقال إلى وصاياه نجد أنّ أفعال الأمر والنهي اتخذت طابعًا لينًا في الخطاب، ففي وصيته لبعض أمرائه" كُنْ كالمضارِب الكيّس الذي إن وجد ربحًا أتجر، وإلا تحفّظْ برأس المال، ولا تطلب الغنيمة حتى تحرز السلامة، وكُنْ من احتيالك على عدوك أشد حذرًا من احتيال عدوك عليك"(صفوت، 185).

فقد جاء فعله الأمري وفعل النهي في خطابه مُتضمِنًا الطلب والنصيحة لتعكس مدى خبرته التي ينقلها للأمير.

وعندما أوصى الشعبيّ تلاحقت أفعال الأمر والنهي عنده بنسيج كلامي متزن يتفق والمقام" يا شعبيّ لا تساعدني على قبح، ولا ترد علي الخطأ في مجلسي، ولا تكلفني جواب التشميت، ودعْ عنك كيف أصبح الأمير وكيف أمسى، وكلمني بقدر ما استطعت، واجعل بدل المدح صواب الاستماع أكثر من صواب القول، وإذا سمعتني أتحدث فلا يفوتنّك منه شيء، وأرني فهمك من طرفك، ولا تجهد نفسك في نظر صوابي، ولا تستدع بذلك الزيادة في كلامي.... واعلمْ يا شعبي أن أقل من هذا يذهب بسالف الإحسان"(صفوت:186).

إنّ تلاحق هذه الصيغ الكلامية من الأمر والنهي مشروع واضح لفكرة عميقة عند الخليفة مفادها النصح الممزوج بخبرة الحياة

ومهارة التصرف التي امتلكها المُوصي. وعندما يكون الأمر غاية في الأهميه نجده يلجأ إلى الجمع بين أكثر من أسلوب، ففي وصيته للشعبيّ عند سماع الخليفة يتحدث مزج بين النهي والتوكيد بنون التوكيد" فلا يفوتنّك منه شيء" دلالة منه على أهمية الإفادة مما يقوله، فهو الخليفة المقتدر الخبير بأسرار الأمور.

ففي هذه الوصية جاءت أفعالها متلاحقة وقد رسمت للمتلقي نسيجًا لغويًا أشبه ما يكون بمتوالية نحوية أفعالها الأمر والنهي مقصدها ما ذكرناه.

وفي وصيته لأخيه عبد العزيز جاءت أفعاله الأمرية في صورة الترفق واللين"ابسطْ بِشرك، وألنْ كنفك، وآثر الرفق في الأمور، وانظر حاجبك، وليكن من خير أهلك" لينتهي به فعل الأمر إلى الجمع بين النهي والتوكيد "ولا يقفنّ أحد ببابك إلا أعلمك مكانه" معللًا ذلك بجملة خبرية "لتكون أنت الذي تأذن له أو ترده"(صفوت:186–187).وكأنه بذلك يرسم لأخيه منهجًا في السلوك يحسن به أن ينهجه (جفال:262).فجاءت الحركة الكلامية عنده بمقصد دلالي منه، وبلغة تداولية عالية المقام فقد استطاع أن يلون خطابه بصيغ من الأمر والنهي والتوكيد ليخط في وصيته ذلك النصح والإرشاد لأخيه بصورة إقناعية مؤثرة.

وقبل وفاته عندما أوصى ابنه ارتفعت حدة أفعال الأمر عنده إذ خرج الأمر من معنى النصح والإرشاد إلى معنى "الحرص" على تسلم مقاليد الحكم من ابنه بما سيرسمه له. " إذا مت فشمّرْواتزرْ والبسْ جلد النمر، وضعْ سيفك على عاتقك، فمن أبدى ذات نفسه لك فاضربْ عنقه ومن سكت مات بدائه"(صفوت:187).

إنّ تلاحق أفعال الأمر في هذا التكثيف"شمّرْ، اتزرْ، البسْ، ضعْ، اضربْ" الدالة على حدة الفعل وقوته لم ياتِ إلا من حرص عبد الملك بن مروان على أن يكون مَنْ سيخلفه بحدته وخبرته.

وفي الوصية نفسها عندما يوصي جميع أبنائه ينتقل بنا إلى وتيرة أخف فبعد أنّ وضّح آلية التعامل مع زمام السلطة انتقل إلى دور الناصح المرشد بلفظ الوصية الصريح" أوصيكم بتقوى الله" ليتبعها بأفعال مضارعة مقرونة بلام الطلب وأفعال أمرية لغرضه الخطابي " ليعطفْ الكبير منكم على الصغير، وليعرفْ الصغير حق الكبير" يا بني: أخوكم مسلمة نابكم الذي تفرون عنه ومجنّكم الذي تستنجون به، اصدروا عن رأيه، واكرموا الحجاج، كونوا أولادًا أبرارًا وفي الحروب أحرارًا"(صفوت:187–188).

لقد رسم لنا الخليفة عبد الملك بن مروان في هذه الوصية صورتين لغرضيين ابتغاهما، فجاءت جمل كلامه متفقة مع الحاجة التي يقصدها:

الأولى: حاجته في الحفاظ على الحكم من بعده، وتسليمه لابنه، وخوفه على ضياعه فجاءت أفعال الأمر عنده متسمة بطابع الحدة والشدة "شمّرْ، اتزرْ، البسْ، ضعْ". فكلّها أفعال تحمل معنى الشدة بذاتها أو بما أسند إليها من كلمات دالة على الشدة فالفعل "شمّرْ" من معانيه الشدة "شمّر فِي الْأَمر خف ونهض وللأمر تهَيَّأ وَيُقَال شمّر عَن ساعده أَو عَن سَاقه جد وشمّرت الْحَرْب وشمّرت عَن سَاقهَا اشتدت" (الوسيط:شمر)، والفعل اتزر فيه معنى اللَبس " وَاتَّزَرَ الرَّجُلُ لَبِسَ الْوِزْرَةَ " (الفيومي:المصباح المنير :وزر) والحال كذلك للفعل "اضرب" الذي يحمل معنى الشدة.أمّا الفعلان "البس وضع" فقد اتخذا دلالة القوة مما جاء معهما من ألفاظ فالفعل "البس" جاء معطوفا على مرادفه "اتزر" وسابقًا لـ"جلد النمر" الدالة على القوة، والفعل "ضع" جاء مقرونًا مع كلمة السيف الدال على القوة. كل ذلك حتى تكون الوصية فعلًا إجرائيًا لاحقًا من ابنه.

الثانية: بعد أن اطئمن واستقرت نفسه بوصيته لابنه لاستلام زمام السلطة، يداخله الخوف من الخلاف بين أبنائه فتأتي أفعاله الأمرية تتسم بالرفق والنصح" ليعطف، ليعرف، اصدروا، أكرموا، كونوا" حرصًا منه ألا يقع الخلاف بينهم.

وخلاصة القول: إنّ" الفعل الكلامي يتشكل في غايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض أو القبول ومن ثَم فهو فعل يطمح إلى يكون فعلًا تأثيرًا في المخاطب"(زهرة، 2006:7). ومما يلاحظ أنّ أفعال الأمر والنهي في وصاياه خرجت إلى معان أرق من معاني أفعال الأمر في خطبته وهذا ما اتضح لنا بالدراسة والتحليل، على عكس ما يرى أحد الباحثين الذي عدّ " خصائص وصاياه هي عين خصائصه في خطبه"(جفال:271).

وكي تتضح المعاني التداولية والمقصدية من أفعال الأمر والنهي في خطب عبد الملك ووصاياه نوضح ذلك بالجدول الآتي:

الفعل	صيغته	الموضوع	المعنى التداولي	الكلمات الداعمة
ارمو، اجعلوا	الأمر		التهديد، تأكيد السلطان، مخاطبة عقول الناس.	فتنزل بكم جائحة
لا تكونوا	النهي			
انظروا، اقبلوا، استديموا، انهضوا.	الأمر	قتل عمر الأشدق		
ليكن	المضارع المقرون بلام الطلب		الترغيب في الطاعة	فيض أعطياتكم
استقيموا، دعوا، تجنبوا لا تكلفونا	الأمر	مقتل مصعب بن الزبير	التهديد تأكيد السلطان	لا أظنكم تزدادون بعد الموعظة إلا شرًا
	النهي			
سلطْ	الأمر	خروج الأشعث	الدعاء بالشر	سيوف أهل الشام
كن، تحفظْ	الأمر	وصيته لبعض أمرائه	النصيحة ، نقل خبرته في الحياة	–
لا تطلب	النهي			
لا تساعدني ، لا تردْ لا تكلفني، لا تجهدْ، لا تستدعِ	النهي	وصيته للشعبيّ	النصيحة ، نقل خبرته ومهارته في الحياة	
دع ، كلمني اجعل، أرني، اعلم	الأمر			
لا يفوتنّك	النهي مع التوكيد			نون التوكيد الثقيلة
ابسط، ألنْ، آثر، انظر	الأمر	وصيته لأخيه عبد العزيز	رسم منهج في الحياة	
ليكن	المضارع المقرون بلام الطلب			
لا يقفنّ	النهي مع التوكيد			نون التوكيد الثقيلة
شمّرْ، انزرْ، البسْ، ضعْ، اضربْ	الأمر	وصيته قبل مماته لابنه	الحرص على استلام زمام السلطة بكل شدة	جلد النمر، سيفك، عنقه
أوصيكم، اصدورا، أكرموا، كونوا	الأمر	وصيته لأبنائه	الخوف على الخلاف بين الأبناء	
ليعطف، ليعرف	المضارع المقترن بلام الطلب		الحرص	كونوا أولادًا أبرارًا

المحور الرابع: لغة التهديد في خطب عبد الملك بن مروان ووصاياه:

إنّ للغة وللجمل في العربية معاني لا يمكن الوصول إليها كما ذكرنا إلا من خلال المقام والسياق، فالسياق يعدُّ إشارة إلى دلالة تتضح بالتحليل. ولعلّ أهم ما يميز "المقاربة التداولية للنصوص أنها تدرس الجانب الوظيفي في النص وترفض البنيات الشكلية أو الجمالية دون مساءلة أفعال الكلام والمقصدية الوظيفية"(حمداوي، 7:2015) "فالخطاب يتجاوز حدود اللغة المنطوقة ليضم تحت جوانحه كل ما يعبر عن أنفسنا للآخرين"(برهومة، 122:2017). ويعنيننا هنا اللغة التي استخدمها عبد الملك بن مروان الدالة على التهديد. والتهديد في اللغة تعددت أساليبه في خطاب النفس البشرية ما بين ترغيب وترهيب وإنذار فقد يجيء كما مر معنا بصيغة الأمر كما في قوله تعالى:" لِيَكْفُرُواْ بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ"(النحل:55). فصيغة الأمر "ليكفروا" "تمتعوا" ليس المراد منها الكفر والتمتع بل وعيد لهؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآيات، وتهديد لهم(الطبري، 256:17:2000). وقد يكون التهديد

باستخدام ألفاظ وجمل دالة عليه.

والمتتبع لخطب عبد الملك بن مروان تطالعه جملُ التهديد واضحة ففي خطبته التي كانت بمكة تتوالى جمل التهديد بعد التوكيد والقسم بقوله:" إنّي والله ما أنا بالخليفة المُستضعَف، ولا بالخليفة المُداهن، ولا بالخليفة المأفون"(صفوت: 180–181) إذ تتضح نبرة التهديد من خلال السياق والظلال التي تحملها الكلمات"المُستضغف، المُداهن، المأفون" وكأنّه ينسف ما في أذهانهم من صور عنه ليؤكد لهم خلاف ما عندهم، ليختم لهم الخطبة بأسلوب لغوي فيما نظن أنّه أسلوب تعليمي اتبعه بعض النحاة "فإن قلت، قلنا، فإن قال، قلت" غير أنّ الناظر في جملته يلحظ معنى التهديد واضحًا" فمن قال برأسه كذا، قلنا له بسيفنا كذا"(صفوت:181). فقد لجأ في هذه الجملة الختامية التهديدية إلى أسلوبين:

الأول: أسلوب لغوي حيث حول فعل القول إلى فعل حركي.

الثاني: أسلوب خطابي حيث جعل السيف مقابل الرأس، وليس هناك أدل على لغة التهديد من هذا فقد استخدم أداة القتل"السيف" صراحة في خطابه وفي رسالته لمتلقي الخطاب.

وفي خطبةٍ له عن حدود الله وفرائضه يلجأ مرة أخرى إلى أداة القتل في خطابه لكل من ازداد في العقوبة" فما زلتم تزدادون في الذنب ونزداد في العقوبة حتى اجتمعنا نحن وأنتم عند السيف"(صفوت: 181) فضلًا عن استخدامه ألفاظ "الحد، الفرض، تزدادون" الدالة كلها حدة الخطاب وإرتفاع وتيرته. فجاءت جمله مناسبة لمقام القول.

وفي خطبته حين قتل عمر الأشدق نجده يوظف فضلًا عن أفعال الأمر الدالة على التهديد جملة صريحة في التهديد مستخدمًا أداة التهديد نفسها في خطابه" فإياي من قول قائل، ورشقة جاهل، فإنّما بيني وبينكم أن أسمع النّغوة، فأصمم تصميم الحسام المطرود، وأصول صيال الحنق الموتور"(صفوت:182).

فقد شدد هنا في لغته الخطابية إذ لم يكتفِ بلفظة الحسام وحدها وإنما ألصق بها "المطرود" المشحوذ من الحد.

ليؤكد لنا بعدها صدق تهديده بقوله:" إنّما هي المصافحة والمكافحة بظبات السيوف وأسنة الرماح"(صفوت:182). حيث لجأ الخليفة في خطبته هذه للتأكيد على مقصده الخطابي إلى أكثر من أسلوب لغوي:

1–استخدام لفظ الحسام ، والسيف صراحة.

2– إلصاق صفة المشحوذ للحسام.

3– الانتقال من صيغة المفرد"السيف" إلى الجمع باستخدامه "السيوف".

4– تعزيز نبرة الخطاب باستخدام لفظة "الرماح".

وقد يوظف ألفاظًا أخرى للتهديد، ففي خطبته عند مقتل مصعب بن الزبير يطالعنا بقوله:" ولن نزداد بعد الإعذار إليكم والحجة عليكم إلا العقوبة"(صفوت:183)، ليؤكد مقصده الخطابي بأبيات شعرية غاية في التهديد:

أنا النذيرُ لَكم مُجَاهَرةً كّي لا أُلامَ عَلى نَهي وإنْذَارِ

فإنْ عَصيْتم مَقَالي اليَومَ فاعْتَرِفُوا أنْ سَوفَ تَلقُونَ خِزْيًا ظَاهرَ العارِ.(الأصفهاني:132:17)

إنّ اجتماع هذه الألفاظ " العقوبة، النذير، عصيتم، خزيًا" إشارة عالية على إرتفاع نبرة التهديد في مقامه الخطابي الذي جاء بعد مقتل مصعب بن الزبير ، وكأنّه يحذر لكل من تُسول له نفسه أنّ مصيره سيكون كمصير مصعب بن الزبير. وليس هذا بغريب فقد "امتازت الخطب في العصر الأموي بالتهديد والوعيد لتنبئ عن غضب الخليفة وترهيب السامعين بشديد العقوبة"(علي، 63:2016).

وبعد فإنّه يمكن جمع ألفاظ التهديد عند عبد الملك بن مروان في خطبه وفقًا للآتي:

أولًا: استخدام الألفاظ الصريحة الدالة على التهديد مثل: السيف بصيغة المفرد وصيغة الجمع"السيوف"، الحسام بصيغته الموصوفة، الرماح، العقوبة، الإنذار ، الخزي، عصيتم.

ثانيًا: التمهيد بجمل تأكيدية لخطابه التهديدي كالقسم والتوكيد وألفاظ أخرى دالة على حدة الموقف كالحد، والفرض، وأفعال الأمر.

ثالثًا: توظيف الأسلوب التعليمي"فإن قلت، قلنا" لغرض تهديدي.

رابعًا: الاستشهاد بالأبيات الشعرية الدالة على الترهيب والتهديد.

أما فيما يخص وصاياه فقد تبين لنا أثناء الدراسة أنها تخلو على الأغلب من نبرات التهديد ذلك أنّ القصد العام منها لا يناسبه لغة التهديد.

المحور الخامس: أسلوب التعظيم في خطب عبد الملك بن مروان ووصاياه:

يطالعنا عبد الملك بن مروان في خطبه بأسلوب لغوي يعكس شخصيته الحادة الجادة ، حيث يعمد أحيانًا في سياق خطابه إلى استخدام أسلوب التعظيم لمقامه ونفسه، وليس هذا بغريب عنه فقد كان عالمًا وفقيهًا معتدًا بنفسه. ومن أساليبه في تعظيم شأن نفسه:

1-استخدامه لأسلوب النفي المقترن بالضمير"أنا":

تمثل ذلك في قوله:" والله ما أنا بالخليفة المستضعف"(صفوت:181)، ولعلّ اللجوء إلى هذا التركيب يوحي بالقوة والتأكيد لحضوره القولي والفعلي، إذ كان بالإمكان أن تكون جملته "والله لست بالخليفة المستضعف" غير أنّ اللجوء إلى النفي بـ"ما" والضمير"أنا" زاد من حضور المتكلم وكأنّه بذلك يقدم في جملته الاستهلالية هذه بالحضور الفعلي لشخصه وقوله. فقد بدأها بالقَسم الدال على التوكيد ثم الضمير" أنا" ثم بعد أن اطمأن لوجوده وحضوره في القول والفعل معًا لم يكررها في قوله اللاحق" ولا بالخليفة المداهن، ولا بالخليفة المأفون"(صفوت:181).

يشير أحد الباحثين إلى أنّ "فاعلية الأنا ونشاطه الدينامي من أبرز خصائصه ومن هنا كان الأنا ذاتًا فاعلة تقابل الموضوع الذي يتميز بالانفعالية"(حيدر، 75:2005)."فالحرص على إبراز الأنا شكل من أشكال الاعتزاز بالنفس الذي يبقى حاضرًا في أي سياق دلالي"(المصري، 7:2009).

2-استخدامه ضمير المتكلمين"نا" و"نحن" للمفرد:

أفاد النحاة أنّ الضمير "نحن" يكون للمتكلم المشارك أو المُعظم نفسه"(ابن عقيل، ، 95:1:2005)(ابن الناظم، 37:2000). ففي خطبته عندما قُتل مصعب بن الزبير خاطبهم بقوله:" أيّها الناس إنّ الحرب صعبة مرة، وإنّ السلم أمن ومسرة، وقد زبتنا الحرب وزبنّاها، فعرفناها وألفناها فنحن بنوها وهي أمُنا"(صفوت:183). فاستخدام الضمير"نحن" يجلب القوة والحضور للمتلكم ، وقد أشار بعض الباحثين إلى أنّ " بعض الشعراء قد يميلون إلى استخدام الضمير"نحن" في حديثهم عن نفسهم عندما يريدون القوة وتحقيق أهدافهم" (بوراعيد، 36:2018). "وكذلك فإنّ الدلالة الصوتية لضمائر التكلم تتناسب مع دلالتها الوصفية فالدلالة الصوتية للضمير "نحن" المتمثلة في قوة انفجار الصوت في حرف النون في الأطراف تتلاسى تدريجيًا في وسطه وكأنما يشير إلى الجماعة"(محمد، 112:2004)."فضلًا عن ذلك فللضمائر دور مهم كونها أدوات ترابط نصية في تحقيق نصية النص، ببناء شبكة العلاقات التي تربط أجزاء النص ربطًا محكمًا يتحد فيه البناء"(خضير، 2015:2017). وهذا الحضور الذي يبتغيه عبد الملك بن مروان تعظيمًا لموقفه يرافقه ألفاظٌ دالة على درايته بالحرب جاءت على النحو الآتي:" عرفناها، ألفناها، نحن بنوها، هي أمنا" الدالة على الاعتداد بالنفس ، وتؤكد خبرة بني أمية ودرايتهم في الحرب.

الخاتمة:

بعد هذه المقاربة اللغوية التداولية في خطب عبد الملك بن مروان ووصاياه، نجمل أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

-كشفت المقاربة التداولية لنصوص عبد الملك بن مروان عن أهميتها في المقصد الخطابي، فقد جاء التحليل للنصوص حاملًا جملة من المعاني المقصدية استطعنا منها بناء نص آخر للخطب والوصايا.

-شكلّت الجملة الاستهلالية للنصوص مدخلًا مهمًا لقراءة النص الخطابي عند الخليفة عبد الملك بن مروان.

-وظّف الخليفة عبد الملك بن مروان في نصوصه أساليب توكيد مختلفة مدّعمة بكلمات مرجعية مساندة لغرضه من التوكيد.

-تنوعت أساليب الأمر والنهي في النصوص، وجاءت ناقلة لمعانٍ تنوعت بين التهديد، والتأكيد على السلطان والنصيحة، ونقل الخبرة للآخرين، وغيرها من المعاني التي وظّف من أجلها صاحب النص هذا الأسلوب اللغوي.

-ظهر التهديد في نصوص عبد الملك بن مروان بصورة واضحة، وجاء باستخدام بعض الأساليب اللغوية التي أفادت هذا المعنى، وتوظيف الألفاظ الدالة عليه صراحة.

-كان لضمير المتكلم، وضمير المتكلمِين الدور الفاعل في إبراز مقام التعظيم للخليفة عبد الملك بن مروان بما يقتضي والحالة الشعورية التي أنتج من أجلها النص.

- كشفت الدراسة عن فرق واضح في الأساليب اللغوية والجمل الخطابية المستخدمة في خطبه عن تلك المستخدمة في وصاياه.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.
الأصفهاني، أ، (1971)، الأغاني- شرحه علي مهنا- بيروت- دار الكتب العلمية.
أمين، إ، (2000)، دلالة ترتيب الجملة في خطب العصر الأموي- منهج وصفي تحليلي، مقال على الشبكة العنكبونية.
الأنصاري، ي، (1990)، أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، رسالة جامعية، جامعة أم القرى.
برهومة، ع، (2017)، تمثلات اللغة في الخطاب السياسي، عالم الفكر، المجلد 36.
جفال، خ، (1991)، الخليفة عبد الملك بن مروان -الناقد الأديب-، بيروت، دار النضال.
حمداوي، ج، التداوليات وتحليل الخطاب، ط1، شبطة الآلوكة.
حموي، ز، (2012)، من أدب الوصايا، ط1، الكويت، وزارة الأوقاف.
حيدر، أ، (2005)، معجم الأنا، مجلة المعرفة، العدد 496، سوريا وزارة الثقافة.
الخرافي، (2012)، لطائف الأدب في استهلال الخطب، ، ط1، الإصدار السابع والعشرون الكويت، الوعي الإسلامي.
خضير، ب، (2017) استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي -مقاربة تداولية- مؤسسة علوم نهج البلاغة-العراق.
خفاجي، م، (1990)، الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي، بيروت، دار الجيل.
الخوالدة، م، (2016)، تطور الخطابة في ظل التنافس السياسي في العصر الأموي- رسالة جامعية- جامعة فيلالدلفيا.
الرازي، ز، (1999)، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، ط5، بيروت، المكتبة العصرية.
رحمة، ب، (2017)، الكفاءة التداولية للمترجم -عبد الوهاب المسيري نموذجًا-، رسالة جامعية، الجزائر.
زهرة، ب، (2016) البعد التداولي في الخطاب الرياضي -الكلاسيكو أنموذجًا- رسالة جامعية-جامعة إبي بكر بلقايط- الجزائر.
السعيد، ع، محاضرة التداولية، مقال على الشبكة العنكبوتية.
أبو شعيرة، ي، (2010)، شعر عبد المنعم الرفاعي-دراسة فنية- ط1، دار جليس الزمان.
بن الشيخ، أ، (2014)، صيغ الاستهلال السردي في قصة الطفل وتأثيرها على عنصري السرد والزمن: قصص "سلسلة مكتبتي" أنموذجا، العدد 5، مجلة إشكالات ، الجزائر.
صحراوي، م، التداولية عند العلماء العرب-دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، بيروت، دار الطليعة.
صفوت، أ، (1933)، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ط1، مصر، مصطفى البابي.
الطبري، م(2000)، جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة.
ابن عقيل، ع، (2010)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية.
علي، إ، (2016) فن الخطابة ومهارة الخطيب، ط5، القاهرة، دار الكلمة.
عمرة، أ، (2018)، تداولية الخطاب واستراتيجية التواصل اللغوي في الخطاب الديني، رسالة جامعية، جامعة مولود معمري، الجزائر.
الفيومي، أ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت، المكتبة العلمية.
مختاري، ع، أهم التصورات التداولية تجاه النص أو الخطاب الأدبي، مخبر الشعرية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف.
المالكي، ع، (2007)، الاستهلال الخطوة الأولى في النص الإبداعي- محور الأدب والفن- موقع على الشبكة العنكبوتية.
مرجاجو، و، (2017)، الخطابة في العصر الأموي -دراسة فنية وفكرية واصل بن عطاء أنموذجًا، رسالة جامعية، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر.
المصري، ع، التشكيل الصوتي في شعر السجن عند أبي فراس الحمداني، مجلة الأقصى، المجلد13، العدد1.
مصطفى، إ، المعجم الوسيط، القاهرة، دار الدعوة.
ابن منظور، م، (1414هـ)، لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر.
ابن الناظم، ب، (2000)، شرح ابن الناظم على ألفية بن مالك، تحقيق محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية.
هارون، ع، (2001)، الأسايب الإنشائية في النحو العربي، ط5، القاهرة، مكتبة الخانجي.
ياسين، ب، (2014)، المفتتح في النصوص الروائية، مجلة الأستاذ، العدد 210، المجلد الأول.

References
Sources and references:

The Holy Quran
Al-Asfahani, A., (1971), Al-Aghani - Sharh Ali Muhanna - Beirut - House of Scientific Books
Amin, E. (2000), Significance of Sentence Order in Umayyad Sermons - An Analytical Descriptive Approach, Web Article.
Al-Ansari, J, (1990), Methods of Prohibition and Prohibition in the Holy Quran and its Rhetorical Secrets, University Thesis, Umm Al-Qura University.
Barhoma, AS, (2017), Formations of Language in Political Discourse, World of Thought, Vol. 36.
Jaffal, KH, (1991), Caliph Abdul Malik bin Marwan - critic of the writer -, Beirut, Dar al-Nidal.
Hamdaoui, c, deliberations and discourse analysis, 1st edition, the Aloka Network.
Hamwi, Z, (2012), from the commandment literature, 1st edition, Kuwait, Ministry of Awqaf.
Haidar, A., (2005), Dictionary of Ego, Journal of Knowledge, No. 496, Syria, Ministry of Culture.
Al-Kharafi, (2012), Lectures of Literature in the Initiation of Sermons,, 1st edition, 27th edition of Kuwait, Islamic Awareness.
Khadir, B, (2017) strategies of discourse when Imam Ali - a deliberative approach - Foundation rhetoric science sciences - Iraq.
Khafaji, M., (1990), Arabic Literature and its History in the Umayyad and Abbasid Era, Beirut, Dar Al-Jeel.
Al-Khawaldeh, M., (2016), The Development of Public Speaking in the Context of Political Competition in the Umayyad Era, University Thesis, Philadelphia University.
Al-Razi, Z, (1999), Mukhtar Al-Sahah, Achievement of Yusuf Sheikh Mohammed, 5th edition, Beirut, Modern Library.
Rahmah, B, (2017), the deliberative competence of the translator - Abdul Wahab Almesiri model -, Thesis, Algeria.
Zahra, b, (2016) The deliberative dimension in sports discourse - Classico as a model - University Thesis - University of Ibi Bakr Balqait - Algeria.
saeed, p, deliberative lecture, article on the Web.
Abu Abu Shira, J, (2010), the poetry of Abdul Moneim Rifai-an art study - 1st edition, Dar Jalis Alzaman
Ben Cheikh, A., (2014), Formulas of Narrative Initiation in the Child's Story and its Impact on the Elements of Narrative and Time: Stories of the “My Library Series” as a Model, No. 5, Eshkalat Magazine, Algeria.
Sahrawi, M., deliberative among Arab scientists - a deliberative study of the phenomenon of verbal acts in the Arab linguistic heritage, Beirut, Dar Al-Taliah.
Safwat, A., (1933), the Arab sermons in the ages of the bright Arab times, 1st edition, Egypt, Mustafa Al-Babi.
Al-Tabari, M. (2000), Al-Bayan Mosque in the Interpretation of the Qur'an.
Ibn Aqil, AS, (2010), explain Ibn Aqil on the Millennium Ibn Malik, the investigation of Mohammed Mohiuddin Abdul Hamid, Beirut, the modern library.
Ali, E., (2016) The Art of Public Speaking and Skill of Khatib, 5th Edition, Cairo, Dar Al-Kalima.
Amra, A., (2018), Deliberative Discourse and Language Communication Strategy in Religious Discourse, Thesis, University of Mouloud Mamari, Algeria.
Fayoumi, a light bulb in Ghareeb al-Sharh, Beirut, the scientific library.
Mokhtari, p, the most important deliberative perceptions towards the text or literary discourse, the laboratory of Algerian poetry, University of Mohamed Boudiaf.

Al-Maliki, AS, (2007), Initiation The first step in the creative text - the axis of literature and art - Web site.
Marjago, and (2017), rhetoric in the Umayyad era - a study of art and intellectual Wasel bin Atta model, a thesis, University of the Arab Ben Mahidi, Algeria.
Egyptian, p, voice formation in prison poetry at Abu Firas al-Hamdani, Al-Aqsa Magazine, Vol. 13, No. 1.
Mustafa E., Intermediate Dictionary, Cairo, Dar al-Da'wa.
Ibn Manzoor, m, (1414), the tongue of the Arabs, 3rd edition, Beirut, Dar Sader.
Ibn al-Nazim, b, (2000), explain Ibn al-Nazim on the millennium bin Malik, the realization of Mohammed Basil eyes black, Beirut, Dar scientific books.
Aaron, AS, (2001), Structural Methods in Arabic Grammar, 5th edition, Cairo, Khanji Library.
Yassin, B, (2014), inaugurated in the fiction texts, Journal of Professor, No. 210, Volume I.

Speeches of the Caliph Abdul Malik bin Marwan and his Commandments "A pragmatic language approach"

Murad Bayyari, Sate't Al-Thunaiba*

ABSTRACT

This study aims to address in the speeches of the Caliph Abd al-Malik bin Marwan and his Commandments in a pragmatically linguistic framework, and to identify the structure of the verbal text. To reach this end, the study was classified according to the following: - Introduction, where we explained the importance of the pragmatic linguistic approach to the texts. - The axes of the study, which were formed as follows: introductory sentences, methods of affirmation, and command and forbidding, and the language of threat, and the language of intensification in his speeches and testaments.

Keywords: Abdul Malik bin Marwan; pragmatic; introductory sentences; affirmation; command and forbidding; threat; intensification.

* The University of Jordan. Received on 29/11/2019 and Accepted for Publication on 13/2/2020.